خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أمام نساء المهاجرين والأنصار

عن عبد الله بن الحسن ، عن أمّه فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قالت : لمَّا اشتدَّت عِلَّة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغلبها ، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار ، فقلْنَ لها : يا بنت رسول الله ، كيف أصبحت عن عِلَّتك ؟ .

فقالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) : (أصْبَحَتْ واللهِ عَائِفَة لِدُنْياكُم ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُم ، لَفِظْتُهُمْ قَبْلَ أنْ عجمتُهُمْ وشَنِئْتُهُم بَعدَ أنْ سبرتُهُم ، فَقُبحاً لِفلولِ الحدِّ ، وخور القَنَاةِ ، وخطل الرَّأيِ ، و : (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) المائدة : ٨٠ .

لا جَرَمَ لَقَد قَلَّدتُهُم ربقتَها ، وشَنَنْتُ عَليهم غَارَها ، فجدعاً وعقراً وسُحقاً لِلقَومِ الظَّالِمِينَ ، وَيْحَهُم أنَّى زَحْزَحُوهَا عَن رَواسِي الرِّسَالَة ، وقَوَاعِد النبُوَّةِ ، ومَهْبِطَ الوَحْيِ الأمِينِ ، والطبين بِأمْرِ الدُّنيَا والدِّينِ : (أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الزمر : ١٥ .

وَمَا نَقَمُوا مِنْ أبِي الحَسَن ؟! ، نَقَمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ ، وَشِدَّةَ وَطْئِهِ ، ونكَالَ وَقْعَتِهِ ، وتَنَمُّرِهِ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

واللهِ لَو تَكافّوا عَن زِمَامٍ نبْذَه رسول الله (صلى الله عليه آله) إليهِ لاعْتَلَقَهُ ، ولسَارَ بِهِم سَيراً سُجُحاً ، لا يُكَلِّمُ خشاشُهُ ، ولا يُتَعْتِعُ رَاكِبُهُ ، ولأوْرَدَهُمْ مَنْهَلاً نَمِيراً ، صَافِياً رَوِيّاً ، فَضْفَاضاً ، تَطْفَحُ ضِفَّتَاهُ ، وَلا يَتَرَنَّقُ جَانِبَاهُ .

ولأصْدَرَهُم بطاناً ، ونَصَحَ لَهُمْ سِرّاً وَإعْلاناً ، ولم يكن يحلى من الغنى بطائل ، ولا يحظى من الدنيا بنائل ، غير ريِّ النَّاهِلِ ، وشبْعَةِ الكَافِلِ ، وَلَبَانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الرَّاغِبِ ، والصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) الأعراف : ٩٦ .

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاَء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) الزمر : ٥١ .

ألاَ هَلُمَّ فَاسْمَعْ ، وَمَا عِشْتَ أرَاكَ الدَّهْرُ عَجَباً ، وَإنْ تَعْجَبْ فعجب قَولهم ، لَيْتَ شِعْرِي إلَى أيِّ سنَادٍ اسْتَنَدُوا ؟! ، وَعَلَى أيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدوا ؟! ، وَبِأيِّ عُرْوَةٍ تَمسَّكُوا ؟! ، وَعَلَى

أيِّ ذُرِّيَّةٍ أقْدَمُوا واحْتَنَكُوا ؟! ، لَبِئْسَ المَولَى وَلَبِئْسَ العَشِير ، اسْتَبْدَلُوا وَاللهِ الذُّنَابَا بالقَوَادِمِ ، والعَجُزَ بِالكَاهِلِ .

فَرَغْماً لِمَعَاطِسِ قَومٍ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) البقرة : ١٢ .

(أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يونس : ٣٥ .

أمَا لَعَمْري ، لَقَدْ لقحَتْ ، فَنَظِرَة رَيْثُمَا تُنْتِج ، ثم احْتَبَلُوا مِلْءَ القَعْبِ دَماً عَبيطاً ، وَذعَافاً مُبِيداً ، هُنالِكَ يَخسَرُ المُبْطِلُونَ ، وَيُعْرَفُ التَّالُونَ ، غبَّ مَا سَنَّ الأوَّلُونَ ، ثُمَّ طِيبُوا عَن دُنْيَاكُم أنْفُساً ، وَاطْمَئِنُّوا للفِتْنَةِ جَأشاً ، وأبْشِرُوا بِسَيفٍ صَارِمٍ ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ ، وَهَرَجٍ شَامِلٍ ، وَاسْتِبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ .

يَدَعُ فَيئَكُمْ زَهِيداً ، وَزَرْعَكُم حَصِيداً ، فَيَا حَسْرَتي لَكُمْ ، وَأنَّى بِكُمْ : (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) هود : ٢٨ .